المدرسة المقاولاتية

جميل حمداوي

المقدمة

من المعلوم أن للمدرسة التربوية العمومية أو الخصوصية علاقة وثيقة كلية أو جزئية بالمقاولة، أو المشروع، أو المؤسسة الإنتاجية والاقتصادية والاجتماعية. وقد تمثل المغرب المدرسة المقاولاتية منذ سنوات الثمانين من القرن الماضي بغية تجاوز مدرسة الأزمة والنكوص والتراجع، وقد كان ذلك متوافقا مع تبنيه فلسفة الأهداف لعقلنة العملية التعليمية- التعلمية، والتحكم الجيد في دواليب الدرس الديدكتيكي، وإخضاعه لمعايير التقويم والمراقبة والتتبع والنجاعة العلمية والتقنية والسلوكية، وربط المدخلات التربوية بالعمليات ، والمخرجات، والتغذية الراجعة (الفيدباك).

إذاً، فما المقصود بالمقاولة؟ وكيف يمكن ربط المدرسة بالمقاولة الإنتاجية؟ وإلى أي حد يمكن الحديث عن مدرسة المقاولة أو المدرسة المقاولاتية؟ هذا ما سوف نتعرف إليه في المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم المدرسة المقاولاتية

عرف المغرب مجموعة من المدارس منذ القديم إلى يومنا هذا من بينها: المدرسة العتيقة، والمدرسة الاستعمارية، ومدرسة البديل الوطني، ومدرسة الأزمة، ومدرسة الإصلاح، ومدرسة الجودة، ومدرسة التميز، ومدرسة النجاح، ومدرسة المساواة والإنصاف، والمدرسة المقاولاتية. بالإضافة إلى مدارس جديدة هي مدرسة الملكات، ومدرسة المستقبل، ومدرسة الذكاءات المتعددة، والمدرسة الإبداعية...

وما يهمنا في هذا المقام هو التوقف عند المدرسة المقاولاتية (Ecole entreprise) التي تهدف إلى تحويل المدرسة الوطنية، أو المؤسسة التربوية التعليمية، إلى مقاولة، أو مشروع، أو مؤسسة إنتاجية واقتصادية واجتماعية معقلنة. والهدف من ذلك هو القضاء على الفوضى، والتسيب، والعشوائية، والانعزالية، وتوفير الإمكانيات الضرورية لتسيير المؤسسة ذاتيا، وتنظيم المدرسة تنظيما عقلانيا هادفا وكفائيا ، والاحتكام إلى المنطق الاقتصادي في مجال التدبير والتسيير، أو إدارة المدرسة العمومية أو الخصوصية.

ومن ثم، فإن المقاولة (Entreprise) ، في الحقيقة، عبارة عن وحدة أو بنية مؤسساتية إنتاجية اقتصادية واجتماعية ، أو هي مؤسسة تنموية تحتكم إلى مشاريع وإستراتيجيات، والهدف من ذلك هو تحقيق الخدمات والمنافع للمتعلمين داخل المؤسسة التعليمية أو التربوية.

أما المقاول ، فهو ذلك الشخص النشيط الذي يزاول مجموعة من الأعمال المختلفة والمتنوعة بجدية وإتقان، أو هو ذلك الشخص الاقتصادي الذي يستثمر أمواله ويخاطر بها في مشروع ما ، أو هو ذلك المسؤول عن مؤسسة أو مقاولة مسؤولية كلية أو جزئية، يقدم كل ما لديه من خطط وبرامج ومشاريع لقيادتها قيادة جيدة وحسنة ومرنة بغية تحقيق مصالح وأهداف معينة لصالح مؤسسته.

ومن ناحية أخرى ، تستند المقاولة إلى مجموعة من المعايير والمقومات الضرورية، مثل: العقلانية، والتنظيم، والبيروقراطية، والتخطيط، والتدبير، والتنسيق، والتنظيم، والتقويم، والجودة، والكفاءة، والشراكة، والإبداعية، وتسطير الأهداف، والعمل بالمشاريع، وتطبيق العلم والمعرفة، وتوفير الإمكانيات اللازمة البشرية والمالية والمادية التقنية واللوجيستيكية . كما تقوم المقاولة على الرأسمال الثقافي والعلمي من جهة، وتوظيف الآليات التقنية من جهة ثانية، وتأطير الموارد البشرية من جهة ثالثة.

ومن هنا، فإن التفكير المقاولاتي هو ذلك التفكير الذي يحتكم إلى التنظيم، وتوظيف العلم والمعرفة، وربط النظرية بالتطبيق، والتنسيق بين مختلف العوامل لتحقيق الإنتاجية والربحية والمنفعة. وأكثر من هذا فالمقاول هو ذلك الشخص الذي يتحلى بالتفكير المقاولاتي ، ويبدع في خططه وإستراتيجياته وعمله داخل المؤسسة انطلاقا من إمكانياته المتوفرة لتحقيق إنتاجية ومردودية معتبرة لصالح المؤسسة. ومن هنا، فهدف المقاولة هو تحقيق التوازن، وتغيير الاختلال من أجل تلاؤم جيد مع المحيط، وتفادي الأخطار المحدقة، بوضع إستراتيجيات استشرافية معقولة وبناءة وهادفة .

ويعني هذا كله أن المدرسة الوطنية في حاجة إلى حل اقتصادي شامل للحد من البطالة ، وتوفير الكفاءات اللازمة لدواليب الاقتصاد التقني المعاصر، بتنظيم نفسها وفق أسس تنظيمية مقالاوتية وإدارية معاصرة ، يكون الهدف منها هو تحقيق الإنتاجية من جهة، وتحصيل الأرباح من جهة ثانية، وتنمية الرأسمال الثقافي والمعرفي والمعلوماتي والتقني من جهة ثالثة.

ولا يعني هذا أن المدرسة التربوية ستتحول جذريا إلى مقاولة صناعية أو تجارية أوفلاحية مائة في المائة، بل تستفيد ، فقط، من آليات الإدارة المقاولاتية في تسيير المؤسسة التربوية التعليمية ، وتنظيمها وفق أسس بيروقراطية وعقلانية هادفة قائمة على التخطيط، والتدبير، والتقويم.

وقد كانت الدول الغربية سباقة إلى تحويل المدارس والمؤسسات التربوية العمومية والخصوصية إلى مقاولات وبنيات ووحدات ومشاريع إنتاجية واقتصادية هادفة وبناءة . وقد أخذت فرنسا بالمدرسة المقاولاتية في سنوات التسعين من القرن الماضي.في حين، تمثلت الدول الأنكلوسكسونية المقاربة الإنتاجية والتعاقدية في تحقيق المردودية التربوية والتعليمية التي دعا إليها وليم جيمس وجون ديوي على سبيل التمثيل ليس إلا.

ومن هنا، فقد تمثل المغرب المدرسة المقاولاتية منذ سنوات الثمانين إلى سنوات الألفية الثالثة، بتطبيق نظرية الأهداف من جهة أولى، والأخذ بالجودة والتميز من جهة ثانية، وتطبيق نظرية المجزوءات والكفايات من جهة ثالثة، والأخذ بفلسفة الشراكة والمشاريع من جهة رابعة.

المبحث الثاني: مقومات المدرسة المقاولاتية

تنبني المدرسة المقالاوتية على مجموعة من الأسس والمبادىء والمرتكزات التي يمكن تحديدها فيما يلي:

1. الاستعانة بأنظمة الإدارة والتسيير المعاصرة؛
2. تبني الفكر البيروقراطي الإيجابي في توزيع العمل وتدبير الإدارة وتنظيمها وتقويمها؛
3. الانطلاق من فلسفة التخطيط والأهداف والتدبير والتقويم، أو الاعتماد على المقاربات الإستراتيجية ذات المنحى العقلاني؛
4. الاشتغال وفق منطق الشراكة ومشروع المؤسسة؛
5. تحقيق المردودية والإنتاجية والربحية والمنفعة والمصلحة للمؤسسة ؛
6. ربط المدرسة المقاولاتية بالعلم والمعرفة والتقنية المعاصرة، والانفتاح على المستجدات التربوية المعاصرة؛
7. الأخذ بفلسفة الإبداع والتغيير والابتكار والاجتهاد والتجديد والتنشيط للحفاظ على استمرارية المؤسسة ووجودها وبقائها وتنافسها؛
8. الحاجة إلى الإنجاز والتفوق والنجاح والتميز ، وتحقيق الأهداف المسطرة، سواء أكانت بعيدة أم متوسطة أم قريبة؛
9. تحمل المسؤولية كاملا في مواجهة المشاكل والتحديات والوضعيات الصعبة والمعقدة والمركبة من أجل دوام المؤسسة المقاولاتية ، وتحقيق أهدافها التي أنشئت من أجلها؛
10. • الأخذ بفلسفة المبادرة والعمل والتطبيق والإنجاز ، وتحمل المسؤولية في ذلك،

و توظيف مجمل الطرائق المعاصرة في تسيير المدرسة المقاولاتية لتحقيق الأهداف والمدخلات تخطيطا، وتدبيرا، وتقويما.

الخاتمة:

هذه هي أهم المبادىء والمقومات التي ترتكز عليها المدرسة المقاولاتية على مستوى التدبير والإدارة والتسيير والتحكم في النسق التربوي والتعليمي.

د . أحمد أوزي

بيداغوجية فعالة ومجددة

كفايات التعليم والتعلم للقرن الحادي والعشرين